استثمار الداعية للفرص.
دراسة لحديث مفاتيح للخير مغاليق للشر.

أ.د. خالد بن حسن العبري.
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله تعالى جعل في الكون سنناً لا تتغير ولا تتبدل، ولا بد للعبد من معرفة السنن كي يتعامل معها بما يناسب الحال. ومن القواعد الثابتة أن لكل شيء مفتاحاً نستعمله لفتح ما أغلق، ولو لم نستخدم المفتاح سنقع في الضيق والحرج. فالمصباح الذي يضيء الغرفة على سبيل المثال له مفتاح ومغلاق؛ فحين نتجاهل مبدأ المفتاح سنحصل على نتيجة ناقصة أو ربما عكسية؛ فلو رمينا المصباح بحجر مثلاً سيطفأ ولكننا لن نستفيد منه مرة أخرى إذ إننا لم نستعمل مفتاحه.

وهل الخير مغلق حتى يكون له مفتاح؟ الجواب: لا ولكن الناس في هذا المقام أصناف مختلفة منهم من وفقه الله فجعله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، ومنهم على العكس من ذلك مفتاح للشر مغلاق للخير، وفريق ثالث ساكت سلبي لا تأثير له بل هو متأثر في جميع أحواله لا مؤثر؛ فهو تابع لأحد الفريقين الأولين. والواجب أن يتأمل كل واحد منا حاله وأمره وشأنه وسلوكه ومعاملاته في هذا المقام، هل هو من مفاتيح الخير مغاليق الشر أم أنه على العكس من ذلك. ومما يُبرز هذ الخيرية أو ضدها: حال المرء في مخالطته للناس أهو من مفاتيح الخير مغاليق الشر أم أنه على العكس من ذلك.

وليس عبثاً ما جاء في القرآن من التعبير بلفظ ﴿وأنا أول المسلمين﴾ الأنعام: ١٦٣، ولفظ: ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ الأعراف: ١٤٣. للإشارة إلى المبادة والمسارعة فبذا يكون مفتاحاً من مفاتيح الخير. وكذا ليس عبثاً ما جاء في القرآن من التعبير بلفظ: ﴿ولا تكونوا أول كافر﴾ البقرة: ٤٣، في إشارة إلى التحذير من أن تكون مفتاحاً للشر.

وقد ذكر عيسى عليه السلام أن الله منَّ عليه بأن جعله مباركاً أينما كان: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ وجاء عن مجاهد في قوله مباركاً: نفاعاً للناس[١]. ولا شك أن نفع عيسى عام في أمور الدنيا بإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك، وفي أمور الدين بدعوته إلى التوحيد. عن الربيع بن أنس قال مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر مثل القطر حيثما وقع نفع[٢].

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦٠/٤٧. وتفسير الطبري ١٩١/١٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٠/٦.

وكان الناس يقولون عن الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان بأنه مفتاح من مفاتيح الخير[١]، حيث ولي الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين وكان فصيحا لسنا جميلا حسن السيرة مفتاحا للخير وله من الأعمال ما جعل الناس يصفونه بالمفتاح لأن الله أذهب به ظلم الحجاج وأطلق من كان في حبس الحجاج فأنصف المظلومين وبنى مدينة الرملة ومسجدها ثم ختم أفعاله باستخلافه ابن عمه **عمر بن عبد العزيز** على المسلمين قبل أخويه يزيد وهشام. وكان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير[٢].

(١) الكامل في التاريخ ٣١١/٤.

(٢) النجوم الزاهرة ٢٤٠/١.

فضل من كان مفتاحاً للخير:

قال تعالى في شأن مغلاق الخير: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب﴾ ق: ٢٥، قال ابن كثير: يمنع مالديه وما عليه من الخير(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه"(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عند الله عز وجل خزائن الخير والشر مفاتيحهما الرجال فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لمن جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير"(٣).

ويضاعف مفتاح الخير حسناته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن جرير بن عبدالله قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه قال ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"(٤).

وعن ابن طاوس عن أبيه قال: ما من أحد سن سنة صالحة يعمل بها بعده إلا جرى عليه أجرها، ومثل أجر من عمل بها بعده، ومن سن سنة سئية جرى عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده(٥).

وعن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال إني أبدع(٦) بي فاحملني فقال: "ما عندى". فقال رجل يا رسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير ١٩٨/٨.

(٢) سنن ابن ماجه ١٩٥ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٣٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٢٣٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٢٢٣.

(٤) رواه مسلم برقم (١٠١٧).

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف برقم (٢١٠٢٤).

(٦) كلّ وتعب.

وروى البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"(٢).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"(٣).

(١) رواه مسلم برقم (٥٠٠٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢١٠).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

أنواع المفاتيح:

المفاتيح أنواع مختلفة وأشكال متنوعة ولكني اجتهدت فقسمت المفاتيح إلى نوعين: حسي ومعنوي، أما الحسي فيختلف حجماً وكيفاً ومادة باختلاف العصور والأزمان والأماكن وباختلاف أنواع الأبواب وأشكالها وأحجامها، فقد يكون مصنوعاً من الحديد أو النحاس أو الخشب أو يكون إلكترونياً أو غير ذلك. ومن أعظم المفاتيح الحسية في الدنيا فيما أعلم: مفتاح الكعبة، وهذا المفتاح في مقامه يحتاج إلى بحث خاص مستقل لما له من الأهمية والعناية.

أما المفاتيح المعنوية فهي المرادة هنا والحق أنه يصعب إحصاؤها وفيها تنوع وتعدد كبير فمنها:

مفاتيح الكلم:

التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعطيت **مفاتيح الكلم** ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت **بمفاتيح خزائن الأرض** حتى وضعت في يدي". قال أبو هريرة فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتقلونها[١].

مفاتيح الغيب:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله[٢].

مفتاح الجنة:

عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله"[٣]. وعن معاذ أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفاتيح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله"[٤]. وقيل لوهب بن منبه أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك[٥]. قال العيني: وهذا القول وقع في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره البيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن:

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٩٩٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٣٧٩).

(٣) رواه أحمد في المسند وإسناده ضعيف ومعناه صحيح برقم (٢٢١٠٢).

(٤) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص١٣١.

(٥) رواه البخاري معلقا برقم (١٢٣٧).

"إنك ستأتي أهل كتاب يسألونك عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله، ولكن مفتاح بلا أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك"[١]. قال ابن حجر: (وقد أخرج سعيد بن منصور بسند حسن عن وهب بن منبه قريبا من كلامه هذا في التهليل ولفظه عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه مثل الداعي بلا عمل مثل الرامي بلا وتر قال الداودي قول وهب محمول على التشديد ولعله لم يبلغه حديث أبي ذر أي حديث الباب والحق أن من قال لا اله إلا الله مخلصا أتى بمفتاح وله أسنان لكن من خلط ذلك بالكبائر حتى مات مصرا عليها لم تكن أسنانه قوية فربما طال علاجه وقال بن رشيد يحتمل أن يكون مراد البخاري الإشارة إلى أن من قال لا إله إلا الله مخلصا عند الموت كان ذلك مسقطا لما تقدم له والإخلاص يستلزم التوبة والندم ويكون النطق علما على ذلك وادخل حديث أبي ذر ليبين أنه لا بد من الاعتقاد ولهذا قال عقب حديث أبي ذر في كتاب اللباس قال أبو عبد الله هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم ومعنى قول وهب إن جئت بمفتاح له أسنان جياد فهو من باب حذف النعت إذا دل عليه السياق لأن مسمى المفتاح لا يعقل إلا بالأسنان وإلا فهو عود أو حديدة)[٢].

وعلى أي حال فإحصاء المفاتيح المعنوية صعب ولذا سوف أسرد بقية المفاتيح دون مزيد تفصيل: فكما أن الجنة لها أبواب فكذلك النار لها أبواب مفاتيحها الكفر والشرك والفسوق والعصيان والنفاق، ومفتاح كل شر: الخمر مفتاح كل شر: عن أبي الدرداء، قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم: " لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر"[٣]. ومفتاح كل خير: الصدق فالصدق مفتاح كل خير كما أن الكذب مفتاح كل شر ولهذا يقولون عن بعض المشايخ إنه قال لبعض من استتابه من أصحابه أنا لا أوصيك إلا بالصدق فتأملوا فوجدوا الصدق يدعوه إلى كل خير[٤]. ومفتاح العبادة الصمت، عن سفيان قال: كان يقال: طول الصمت مفتاح العبادة[٥]. ومفاتيح الفهم: حسن السؤال. ومفتاح الدعاء: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ومفتاح الكلام: حمد الله تعالى. ومفتاح الإنسان لسانه: والمرء كالمدفون تحت

(١) عمدة القاري ٣/٨. قلت: وقوله: (ولكن مفتاح بلا أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك) لم أجده في رواية البيهقي. وهنا ملاحظة: ورد في أحاديث أخرى لا تخلو من الضعف فيها ذكر مفاتيح الجنة كحديث جابر: "مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الوضوء"، في المسند (١٤٦٦٢). وحديث: "مفاتيح الجنة السيوف"، كتاب صفات رب العالمين ١٤٣/٥. وحديث ابن عمر: ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين الصبر، وهم جلساء الله يوم القيامة"، كتاب صفات رب العالمين ١٤٤/٥. وجاء من قول سهل بن الله: مفتاح الجنة ترك الهوى لقوله عز وجل: وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، تفسير القرطبي ٢٠٨/١٩.

(٢) فتح الباري ١١٠/٣.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٤٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) الاستقامة لابن تيمية ٤٦٧/١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت برقم (٤٣٥) ص٤٦٥.

لسانه.....ولسانه مفتاح باب مغلق[١]. ومفتاح القلوب: التبسم. ومفتاح الفرج: الصبر. قلت: والكلام في هذا يطول لأن التجربة والحس قد دلّا على أن لكل شيء مفتاح فالمفاتيح تتعدد بتعدد الأشياء.

وقد لخص ابن القيم رحمه الله تنوع المفاتيح في كلام جليل له فقال: (وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال مفتاح الصلاة الطهارة ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال حسن الإصغاء ومفتاح النصر والظفر الصبر ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة والذكر ومفتاح الفلاح التقوى ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الإجابة الدعاء ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغنى مفتاح الزنا وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصي مفتاح الكفر وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله وجعل الأعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون)[٢].

(١) من شعر علي بن محمد البرقعي، تاريخ مدينة دمشق ٢٢٨/٤١.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٦٨-٦٩.

العلاقة بين العمل وصاحب العمل:

تبلغ بعض الأعمال الآفاق من حيث شهرتها وفضلها ونفعها؛ لتميزها بالإتقان وجودة مضمونها ونفعها المتعدي، وقد نسبت هذه الأعمال إلى من قام بها وأولاها العناية، لكن الخافي عن الناس أن بعض هذه الأعمال كان لها صاحب يد لم تنسب إليه ولم يُنسب إليها، مع كونه هو السبب الرئيس في إنشاء العمل والتنبيه إليه. والحقُّ أن ذلك لم يضره شيئاً حيث العبرة بما يكتب له عند الله تعالى.

وسأضرب على ما ذكرت بعض الأمثلة التي توضح مرادي:

المثال الأول: كتاب صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله؛ لا ريب أن الذي جمعه هو الإمام البخاري ولكن صاحب الفكرة رجل عرض السؤال في مجلس شيخه إسحاق ابن راهويه. قال البخاري كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب[١]. فصاحب الفكرة رجل من جلساء شيخ البخاري إسحاق بن راهويه بحثت كثيراً عن اسمه فلم أجده.

المثال الثاني: أن بعض الأمراء سأل النسائي عن كتابه السنن الكبرى أكله صحيح؟ فقال: لا قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجردا. فصنع المجتبى من السنن[٢]، ويسمى المجتبى بالنون أو الباء الموحدة والمعنى قريب، والأشهر هو الأخير. فصاحب الفكرة رجل سياسي قد لا يكون له علاقة بعلم الحديث وصناعته؛ وقد جاء في بعض المصادر أنه أمير الرملة، قال السيوطي: (ورأيت بخط الحافظ أبي الفضل العراقي، أن النسائي لما صنف الكبرى أهداها لأمير الرملة فقال له: كل ما فيها صحيح، فقال: لا، فقال: ميز لي الصحيح من غيره، فصنف له الصغرى)[٣].

المثال الثالث: كتاب الرسالة روى جعفر ابن أخي أبي ثور الكلبي، عن عمه، قال: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القران، ويجمع قبول الاخبار فيه، وحجة الاجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القران والسنة، فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما أصلي صلاة إلا وأدعوا للشافعي رحمه الله فيها[٤].

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٢.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ١٩٧/١.

(٣) تدريب الراوي ١٠٩/١.

(٤) مقدمة كتاب الرسالة في السماعات ص ٧٢.

المثال الرابع: في قصة أول صلاة جمعة في الإسلام صلاها بالأنصار مصعب بن عمير رضي الله عنه[١]. ولكن ربما يجهل البعض أن صحابياً آخر كان له دور بارز وهو أسعد بن زرارة. فقد كان كعب بن مالك رضي الله عنه يستغفر لأسعد بن زرارة في كل جمعة لأنه أول من جمّع بهم الجمعة في المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترحم عليه كلما سمع النداء[٢]. قال ابن حجر: ويجمع بينه وبين الأول أسعد كان آمراً وكان مصعب إماماً[٣].

(١) مصنف عبدالرزاق ٣/١٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب الجمعة في القرى برقم(١٠٦٩).

(٣) تلخيص الحبير ٢/١٣٩.

أبو بكر مفتاح للخير كبير:

ليس المقام هنا سرد سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهي سيرة عطرة غزيرة مليئة ولكن المقام هنا لتوضيح كون أبي بكر مفتاحاً من مفاتيح الخير، فقد فتح الله على يدي أبي بكر رضي الله عنه أبواباً من الخير كثيرة، فصحبته ومرافقته ونصرته للنبي صلى الله عليه وسلم في مواقف عديدة، ويبرز جانب هام وهو دعوته ونصرته للدين حيث لم يترك سبيلاً إلا اتخذه ففتح الله على يديه فتوحات عظيمة من أهمها وأعظمها إسلام خلق من الصحابة على يديه ومن أولئك النفر ستة من العشرة المبشرين بالجنة والحق أن هذا ليس بالأمر الهين. وقد استثمر أبو بكر ثقة الناس به ومجالستهم له ومحبّتهم لمجلسه بدعوة من يثق به إلى الإسلام، فأسلم على يديه في الأيام الأولى طليعة أهل الإسلام وهم: الزبير بن العوّام، وعثمان بن عفّان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف. وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونفع أبي بكر متعد وإحسانه للخلق ظاهر، فعن الربيع بن أنس قال مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر مثل القطر حيثما وقع نفع(١).

وفي قبوله للحق وإقباله عليه قال القاسم بن محمد بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له عنده كبوة أو تردد غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم"(٢). وهنا يتأكد وصف أبي بكر بأنه مفتاح للخير كما جاء عن عبد الله بن مسعود قال كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد(٣).

وقال ابن إسحاق في وصف أبي بكر: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله، وكان أبو بكر رجلا مآلفا لقومه، محببا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلا تاجرا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه(٤).

وله تأثير متعد على المحيطين به فهو مفتاح للخير ولا شك أن أهل بيته كانوا من أوائل من دخل في الإسلام، للحديث المخرج في البخاري في قصة الهجرة عن عائشة قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما ابتلي

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦/٣٥٠.

(٢) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف برقم ١٩١٤.

(٣) سنن ابن ماجه وحسنه الألباني ١/٥٣.

(٤) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ص ١٣٩.

المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا: لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره[١].

ويذكر أن ممن أسلم على يد أبي بكر: مصعب بن عمير، وعيّاش بن أبي ربيعة، والأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد، وعثمان بن مظعون الجمحي وغيرهم وهذا بلا ريب دليل ظاهر على أن أبا بكر مفتاح من مفاتيح الخير.

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٩٠٥.

ثابت البناني مفتاح للخير:

هو ثابت بن أسلم البناني وقد وصفه أنس رضي الله عنه بأنه مفتاح للخير؛ وشهادة أنس بن مالك رضي الله عنه راوي حديث المفاتيح لها اعتبار كبير، فكما يقال راوي الحديث أعلم الناس به.

فعن حماد بن زيد، عن أبيه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتاً البناني من مفاتيح الخير(١). وفي لفظ آخر قال أنس: إن لكل شيء مفتاحا وإن ثابتا من مفاتيح الخير(٢).

وعلى الرغم من كثرة أصحاب أنس وتلاميذه ومن لازمه وروى عنه لم يصف أحداً بهذا الوصف، فلعل أنساً رضي الله عنه رأى منه ما دعاه إلى القول بأنه مفتاح من مفاتيح الخير، وكان يحبه ويسأل عنه حماد قال أخبرني حميد قال كنا نأتي أنس بن مالك ومعنا ثابت فكلما مر بمسجد صلى فيه فكنا نأتي أنسا فيقول أين ثابت أين ثابت إن ثابتا دويبة أحبها(٣). ولعلي أستنبط من سيرة ثابت رحمه ما يبين علة وصفه بالمفتاح.

وبالنظر في ترجمة ثابت البناني نلحظ أنه جمعت فيه خصال الخير فمن صفاته: التذكير بفعل الخير بأفعاله لا بأقواله فيراه الناس فيقتدون به، روى جعفر بن سليمان قال سمعت **ثابتا البناني** يقول ما تركت في مسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها. وقال ضمرة عن ابن شوذب ربما مشيت مع **ثابت البناني** فلا يمر بمسجد إلا دخل فصلى فيه(٤).

وثابت رحمه الله من رواة الحديث وكان من أخص تلاميذ أنس ابن مالك وروى عنه وروى عن أكثر من ثلاثين شيخاً، كما تظهر مفتاحية الخير فيه يلا شك عنايته بنشر السنن وإبلاغها، وروى عنه الحديث أكثر من مائة من الأعلام بلغ عددهم مائة وستة رواة(٥).

ومن صفاته رحمه الله جمعه بين العبادة والعلم فكان متنسكا عابداً صواماً كثير البكاء من خشية الله يقوم الليل وفي الوقت نفسه كان عالماً راوياً متقناً، عن بكر بن عبد الله قال: من سره أن ينظر إلى أعبد رجل أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، تراه في يوم معمعاني بعيد ما بين الطرفين يظل صائما ويراوح ما بين جبينه وقدمه. عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: قال ثابت البناني:

(١) مسند ابن الجعد ص٢٠٩. والخرائطي في مكارم الأخلاق برقم ٥٩١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٣/٧.

(٣) حلية الأولياء ٣٢٢/٢.

(٤) حلية الأولياء ٣٢١/٢.

(٥) الإمام التابعي ثابت البناني وطبقات الرواة عنه للدكتور عبدالحكيم الأنيس، ص٣٨.

كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة[١]. وعن جعفر بن سليمان قال: اشتكى ثابت البناني عينه فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك قال: وما هي؟ قال: لا تبك قال: وما خير في عين لا تبكي؟ وعن حماد بن زيد قال: رأيت ثابتا البناني يبكي حتى تختلف أضلاعه. وعن هشام قال: ما رأيت قط أصبر على طول المقام والسهر من ثابت البناني، صحبناه مرة إلى مكة فكنا إن نزلنا ليلا فهو قائم يصلي وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظا ونحن نسير إما باكيا وإما تالياً[٢]. قال ابن حبان: وصحب أنسا أربعين سنة وكان من أعبد أهل البصرة[٣].

وأما عن علمه وإتقانه فكثير ومنه ما رواه علي بن المديني عن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة قال: يقول الناس: القصاص لا يحفظون. فكنت أقلب على ثابت البناني حديثه – يعني: أجرب حفظه – فكنت أقول لحديث ابن فلان: كيف حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى؟ فيقول: لا، حدثناه فلان، وأقول لحديث عبد الرحمن بن أبي ليلى: كيف حديث فلان؟ فيقول: لا، حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى[٤]. وبنحوه ما رواه عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة، قال: كنت أسمع أن القصاص لا يحفظون الحديث فكنت أقلب الأحاديث على ثابت أجعل أنسا لابن أبي ليلى واجعل ابن أبي ليلى لأنس أشوشها عليه فيجيء بها على الاستواء[٥].

وعن مطر الوراق: لا نزال بخير ما بقي أشياخنا: ثابت ومالك ومحمد بن واسع. وقال محمد بن واسع: نعم الرجل ثابت، نعم الرجل ثابت[٦].

ومما يجعل ثابتاً مفتاحاً من مفاتيح الخير: النفع المتعدي وقضاء الحاجات: **استعان رجل بثابت البناني على القاضي** في حاجة فجعل لا يمر بمجسد إلا نزل فصلى حتى انتهى إلى القاضي وقد ختمت القماطر فكلمه في حاجة الرجل فقضاها فأقبل ثابت على الرجل فقال لعله شق عليك ما رأيت قال نعم قال ما صليت صلاة الا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك[٧].

(١) صفة الصفوة ١٥٤/٢.

(٢) صفة الصفوة ١٥٥/٢.

(٣) الثقات ٨٩/٤.

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٤٩/٢.

(٥) تهذيب الكمال ٣٤٢/٤.

(٦) إكمال تهذيب الكمال ٦٣/٣.

(٧) حلية الأولياء ٣٢٢/٢.

صفات مفتاح الخير:

المفاتيح موجودة ومتوافرة ولكن السعيد من أرشد إليها والموفق من عرفها، وقد جاء الحديث في رواية أنس ورواية سهل رضي الله عنهما بلفظ جعل الله ولفظ جعله الله؛ في إشارة إلى الجعل بمعنى التصيير والهبة من الله فالأمر بيد الله جل وعلا. ولكن الأمر شأنه شأن سائر الأعمال والأخلاق والصفات فيها نوع اكتساب وجهد فإذا أراد المرء أن يكون مفتاحاً للخير فعليه التنبه لبعض الأعمال والأوصاف التي تعينه على أن يكون مباركاً ونافعاً أينما كان ومن تلك الأوصاف:

الإخلاص: الإخلاص لله جلّ وعلا في الأقوال والأعمال، فالمخلص صادق في أقواله وأعماله والله جلّ وعلا لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه جلّ وعلا: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ البينة:٥، ومن نعمة الله عزّ وجل على عبده المخلص، أن يهديه إلى سبيل الحق فيجعله مفتاحاً للخير، وأن يصرف عنه سبيل الضلال فيجعله مغلاقاً للشر، وقد قال الله عزّ وجل عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿كذلك لنصرف عنه السُّوء والفحشاء إنه كان من عبادنا المخلصين﴾ يوسف:٢٤.

الدعاء: من أسماء الله الحسنى الفتاح وقد أمرنا بالدعاء عموماً وبأسمائه الحسنى خصوصاً، فالدعاء والإلحاح على الله بالسؤال والطلب بأن يجعلك من مفاتيح الخير مغاليق الشر. والدعاء نفسه مفتاح من مفاتيح الخير. ومن أدعية القرآن ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ الأعراف: ٨٩. وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوه باسمه الفتّاح ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ سبأ:٢٦، فعلى المرء أن يدعو ويتوسل إلى الله بهذا الاسم وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا بأن يجعله من مفاتيح الخير ومغاليق الشر. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن ينال مفاتيح الخير، فعن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك .....، اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة آمين"(١). وقال الحسن: مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء(٢). وقال ابن تيمية: الدعاء مفتاح كل خير(٣).

الفطنة: الفطنة فيها تيقظ تجعل الإنسان ينتفع وينفع غيره ويستفيد الناس منه، قال علي رضي الله عنه: "اليقين على أربع شعب، على تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم (١٩١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى ٦٦١/١٠.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٧/٤. والقرطبي في تفسيره ٥٣/١٤.

أبصر الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين"[١].

ومما يعين على الفطنة إعمال الفكر والتيقظ وإمعان النظر والتدبر، قال ابن القيم: (فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة ومن المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ومن سجن الدنيا إلى فضاء الاخرة ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم ورحبه ومن مرض الشهوة والإخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وثلج الصدور وبالجملة فأصل كل طاعة إنما هي الفكر وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية فيتولد منه الارادات والعزوم فيتولد منها العمل فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما امر به وفيم هيء له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعا)[٢].

محبة الخير للغير: محبة الخير تجمع عدة أوصاف لصاحبها حيث تظهر لديه الرغبة في الثواب والحرص على هداية الناس، ومحبة الخير لنفسك هي عمل صالح؛ ومحبة الخير للآخرين عمل صالح مضاعف. والقدوة في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في محبته الخير للناس ولا غرو فقد قال الله عنه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: ١٠٧. وقد كان كذلك يدفع الشر والآفات عنهم فقال الله عنه: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ الكهف: ٦. وحب الخير للغير من مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومن علامات كمال الإيمان فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه"[٣]. وقال خالد بن عبد الله القسري، وهو يخطب على منبر البصرة وهو يقول: حدثني أبي، عن جدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا يزيد بن أسد، أتحب الجنة؟" قلت: نعم. قال: فأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك"[٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن قال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي فعقد فيها خمسا وقال: "اتق المحارم تكن

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين، ص٣٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/١٨٣.

(٣) رواه البخاري برقم ١٣، ومسلم برقم ٤٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٧٤٠٦.

أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"[١].

صحبة مفاتيح الخير:

تظافرت نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح على تأثير الجليس الصالح والجليس السوء، ولست بصدد سرد النصوص ولكن مما لا شك فيه أن الإنسان في الأصل مجبول على مخالطة الآخرين والعيش معهم فالإنسان كما يقال مدني بطبعه وهو مجبول كذلك على التأثُّر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنودٌ مجندة فالصحبة تؤثر على الإنسان في عقيدته وعبادته وسلوكه وأخلاقه. ومصاحبة مفاتيح الخير تجعلك قريباً من الخير كما تجعلك مغلاقاً للشر وتعينك على فعل الطاعات والبعد عن المعاصي.

وقد صرح الخليفة الراضي بتأثير الرفقة الصالحة في جعل الإنسان مفتاحاً للخير فقال كما سمعه منه محمد بن يحيى الصولي: لله أقوام هم مفاتيح الخير وأقوام هم مفاتيح الشر فمن أراد الله به خيرا قصده أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته وهو الشريك في الثواب والأجر والشكر ومن أراد الله به شرا عدل به إلى غيرنا وهو الشريك في الوزر والإثم والله المستعان[٢].

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٢٥/٧ وأحمد وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) البداية والنهاية ١٩٧/١١.

ما لا يلزم وجوده في مفتاح الخير:

المراد من هذا العنوان بيان أن المرء قد يكون مفتاحاً كبيراً للخير في أبواب العلم وغيره أعلم منه ومفتاحاً كبيراً للخير في أبواب النفقة وهو فقير وغيره أغنى منه ومفتاحاً كبيراً للخير في أبواب المشاريع الخيرية وغيره أفضل منه في الإدارة. كل ذلك بسبب شعوره بالمشكلة وإدراكه للحاجة وما يملكه من روح المبادرة في دلالته الآخرين على وجوه الخير فقد يبني مسجداً وهو لا يملك ريالاً واحداً، فغيرك أكمل وأنت مفتاح للخير. ولكن تميز بأسلوبه في تحريك الهمم وبطريقته في استخراج الفكرة وليس بالضرورة أن يكون هو من ينفذها.

وذي أمثلة عدة توضح مرادي:

- سبب تأليف الموطأ ما أشار به الخلفة المنصور للإمام مالك بأن يضع كتاباً ينتفع به الناس، قال مالك: فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ[١].
- سبب تأليف العقيدة الواسطية لابن تيمية قوله بأنه قدم عليه من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له: رضى الدين الواسطي من أصحاب الشافعي قدم علينا حاجًا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل، والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السنة. فألح في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق، وغيرهما[٢].
- سبق ذكر سبب اختصار النسائي سننه من الكبرى إلى المجتبى (الذي هو سنن النسائي) نصيحة أمير الرملة، فالنسائي أعلم منه بعلوم الحديث والرجال ولكن المفتاح كان ذلك الأمير.
- وسبق ذكر سبب تأليف البخاري صحيحه كلمة قالها رجل في مجلس شيخه إسحاق بن راهويه ووقعت في نفس البخاري فألف الصحيح.

(١) تاريخ ابن خلدون ١٨/١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٤/٣.

- سبب تأليف الإمام الذهبي رحمه الله كتابه الكبير (تاريخ الإسلام) وذلك بإشارة من الأمير ابن ماكولا، قال الذهبي: وقد قبلنا إشارةَ الأمير، وعملنا "تاريخ الإسلام" على ما رَسَم الأمير(١).
- وأول من جمع الحديث هو محمد بن شهاب الزهري وسبب ذلك هو طلب عمر بن عبدالعزيز كما ذكر ذلك السيوطي في الألفية: أول جامع الحديث والأثر ابن شهاب آمرا له عمر(٢).
- ومن مفاتيح الخير في غير فنه عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسى الأندلسي القرطبي كان فقيهاً ولم يكن محدثاً ولكنه أظهر الحديث بالأندلس، وكان رأسا في مذهب مالك وله تصانيف عدة مشهورة ولم يكن بالمتقن للحديث ويقنع بالمناولة. قال بن بشكوال قيل لسحنون فقيه المغرب مات بن حبيب قال مات عالم الأندلس بل والله عالم الدنيا. قال الصدفي في تاريخه كان بن حبيب كثير الجمع معتمدا على الأخذ بالحديث ولم يكن غيره ولا يدرى الرجال وقال احمد بن محمد بن عبد البر هو أول من أظهر الحديث بالأندلس وكان **لا يفهم صحيحه من سقيمه**(٣).

(١) سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٩.

(٢) ألفية السيوطي، ص٧.

(٣) تذكرة الحفاظ ٥٣٧/٢.

مفاتيح للشر:

وفي المقابل بيان لجرم من كان مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما إلا كان على بن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل "(١).

ولا يخفى ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من إثم عمرو بن لحي فيما رواه أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار، كان أول من سيب السوائب"(٢). وقال أبو هريرة: سمعت رسول اللهِ يقول لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا منه بك قال أكثم: يا رسول اللهِ أتخشى أن يضرني في شبهه، فقال رسول اللهِ: إنك مؤمن وهو كافر وهو أول من سيب السوائب وبحر البحيرة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل عليه السلام"(٣). وعن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف أوّل من سيب السوائب، وأوّل من غيَّر عهد إبراهيم! قالوا: من هو، يا رسول الله؟ قال: عمرو بن لُحَيّ أخو بني كعب، لقد رأيته يجرّ قُصْبه في النار، يؤذي ريحه أهل النار. وإني لأعرف أوّل من بحر البحائر قالوا: من هو، يا رسول الله؟ قال: رجل من بني مدلج، كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرّم ألبانهما، ثم شرب ألبانهما بعدَ ذلك، فلقد رأيته في النار هو، وهما يعضّانه بأفواههما، ويخبطانه بأخفافهما(٤).

وقل مثل ذلك في البدع والخرافات حيث يحدث أحدهم بدعة ليست على ما كان عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم والنماذج كثيرة للأسف ولكني أشير إلى مثال واحد وهو بدعة القدرية كما قال يحيى بن يعمر: كان أول من قال في القدر معبد الجهني بالبصرة(٥).

عن ابن الحنيفة في قوله: (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) قال: كان أبو جهل وصناديد قريش يتلقون الناس إذا جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون فيقولون: إنه يحرم الخمر ويحرم الزنا ويحرم ما كانت تصنع العرب فارجعوا فنحن نحمل أوزاركم، فنزلت هذه الآية: (وليحملن أثقالهم)(٦).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥١٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٢٣).

(٣) الفتوحات الربانية لابن علان ٢١٢/٤.

(٤) تفسير الطبري ٨٧/٧.

(٥) شعب الإيمان ٢٠٢/١.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧٩/١٨.

وقد قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنه: لو أتيت فلاناً -أي عثمان- فكلمته، فقال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه[١]. قال القاضي عياض: (مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سراً فذلك أجدر بالقبول)[٢].

ومن مفاتيح الشر العجز: قال ابن القيم: (وأما العجز فانه يفتح عمل الشيطان فإنه إذا عجز ما ينفعه وصار إلى الأماني الباطلة بقوله لو كان كذا وكذا ولو فعلت كذا يفتح عليه عمل الشيطان فإن بابه العجز والكسل ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منهما وهما مفتاح كل شر ويصدر عنهما الهم والحزن والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال فمصدرها كلها من العجز والكسل وعنوانها لو فلذلك قال النبي فإن لو تفتح عمل الشيطان فالمتمني من أعجز الناس وأفلسهم فإن التمني رأس أموال المفاليس. **والعجز مفتاح كل شر وأصل المعاصي كلها العجز** فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي)[٣].

وقال رحمه الله: (ولا تعجز فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى لو ولا فائدة في لو ههنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته وأنه لو قدر له لم يفت ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور وإذا انتفت امتنع وجوده فلهذا قال فإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين)[٤].

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٦٧).

(٢) نقله الحافظ في الفتح ٥٢/١٣.

(٣) زاد المعاد ٢٥٨/٢.

(٤) شفاء العليل ١٩/١.

نماذج من المفاتيح:

إن قوماً كانوا مفاتيح للخير لمن بعدهم، فتحوا أبواباً من أبواب الخير كثيرة فاقتدى بهم آخرون، وهذا بلا شك يحصل به الأجر العظيم، فكل أجر وفضل ناله الشهداء والعلماء والفضلاء والزهاد والعباد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أجره فهو الذي دل وأرشد.

أول من أظهر الإسلام: عن عبد الله بن مسعود قال كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد[١].

أول من بايع: أبو سنان بن وهب اسمه عبد الله ويقال وهب بن عبيد الله الأسدي قال موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا أبو سنان بن وهب الأسدي ولم يسمه وقال الشعبي كان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة أبو سنان بن وهب ولم يسمه أخرجه عمر بن شبة قالوا وهو غير أبي سنان بن محصن أخي عكاشة وأم قيس لأن بن محصن مات والنبي صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة وكان ذلك قبل بيعة الرضوان تحت الشجرة وأخرج الحاكم أبو أحمد من طريق عاصم الأحول عن الشعبي قال أتاني عامري وأسدي يعني كانا متفاخرين فقلت كان لبني أسد ست خصال ما كانت لحي من العرب كان أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي قال يا رسول الله ابسط يدك أبايعك قال على ماذا قال على ما في نفسك وما في نفسي قال فتح وشهادة قال نعم فبايعه قال **فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان**[٢].

أول من قدم بالإسلام إلى المدينة: خبيب بن عبد الرحمن الأنصاري قال خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتياه فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن فأسلما ولم يقربا عتبة ورجعا إلى المدينة **فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة**[٣].

---

(١) سنن ابن ماجه وحسنه الألباني ٥٣/١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٩١/٧.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٦٦/٢.

أول من فتح باب المصافحة: عن حميد قال سمعت أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقدم عليكم غدا أقوام هم أرق قلوبا للإسلام منكم". قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون، يقولون: غدا نلقى الأحبة ... محمدا وحزبه، فلما أن قدموا تصافحوا، فكانوا هم أول من أحدث المصافحة [(١)].

ابن سيرين مفتاح التحقق: ابن سيرين أول من انتقد الرجال وفتش عن الإسناد وميز الثقات من غيرهم وقد روى عنه من غير وجه أنه قال إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وفي رواية عنه أنه قال إن هذا الحديث دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه. قال يعقوب بن شيبة قلت ليحيى بن معين تعرف أحدا من التابعين كان ينتقي الرجال كما كان ابن سيرين ينتقيهم فقال -برأسه- أي لا قال يعقوب وسمعت علي بن المديني يقول كان ممن ينظر في الحديث ويفتش عن الإسناد ولا نعرف أحدا أول منه محمد بن سيرين ثم كان أيوب وابن عون ثم كان شعبة ثم كان يحيى بن سعيد وعبد الرحمن[(٢)].

شعبة بن الحجاج مفتاح التدقيق والتثبت: قال عنه الإمام الشافعي -رحمه الله- لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق وقال أبو حاتم الرازي إذا رأيت شعبة يحدث عن رجل فاعلم بأنه ثقة وقال يحيى بن سعيد كان شعبة أعلم الناس بالحديث. قال ابن رجب في معرض ترجمته لشعبة بن الحجاج وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها ونقب عن دقائق علم العلل وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم. وقال السمعاني صاحب كتاب الأنساب هو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وهذه العبارة تكفي لأن نعرف من هو شعبة وفي كتب العلل والرجال يتردد اسمه في كل صفحة وكافة النقاد بعده يتسابقون في نقل عباراته والبحث عن نظراته في الرجال والعلل وخلاصة القول في شأن هذا الرجل أن الحديث أصبح صناعة وفنا على يديه. وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها ونقب عن دقائق علم العلل وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم.

وقال صالح بن محمد الحافظ أول من تلكم في الرجال شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان ثم تبعه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل[(٣)].

(١) مسند الإمام أحمد برقم (١٢٥٨٢) وقال محققه شعيب الأرناؤوط: صحيح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٥٠ برقم ٥٢٧.

(٢) شرح علل الترمذي ١/٣٥٥.

(٣) شرح علل الترمذي ١/٣٠.